



سألوا عليكم اليوم نبأ سحرة فرعون، أولئك الذين يزيّنون له سوء عمله، ويطمسون بصره، ويفتون له بأمور ما أنزل الله بها من سلطان. كنا نخشى الحديث عنهم إجلالاً لعلمهم واحتراماً لكتبهم التي ملأت الآفاق، وكنا نسمع منهم قوله بليغاً يفحّم الليّب، لكن كل علم إبليس وبلاعاته لم تكن لنتائجيه من عذاب الله لأنّه فسق وخرج من الطاعة إلى المعصية ومن الهدى إلى الضلال. وكذلك مثل علماء السلطان.

والله - عز وجل - الذي كرم العلماء، ضرب في كتابه العزيز أشنع مثل لعلماء السلطان الذين يكتمون ما علمهم الله ويعرضون عنه، إذ يقول الله - تعالى - : {وَأَنْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعُهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرْتُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: 175-176].

إنه مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كل الجدة على ذخيرة اللغة من التصويرات. إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه ويعطيه الفرصة كاملة للهدي والارتقاء ولكن ها هو ذا ينساخ من هذا كله انسلاخاً. ينساخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه فهو ينساخ منها بعنف ومشقة، انسلاخ الحي من أديمه اللاصدق ويتجرد من الغطاء الواقي وينحرف عن الهدي ليتبع الهوى فيلتصق بالطين المعتم، ثم إذا هو مسخ في هيئة الكلب يلهاه إن طوره ويلهاه إن لم يطارد. وفي صورة جلية أخرى، يصور الله - تعالى - العالم الضال بالحمار؛ {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التُّورَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلَ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} [الجمعة: 5]. وكذلك عبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أولئك حين قال: ((إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلّين)), والإمام المضلّ يحمل وزر نفسه ووزر من تبعه إلى يوم الدين.

ومن فضل الفتن في الدنيا أنها تكشف المنافقين المدعين الأفاقين من المؤمنين، وتميز الخبيث من الطيب، وتمحّص القلوب ليصطفي الله من عباده المخلصين. وكم سقطت عوامٍ ولحي لم تكن خالصة لوجه الله، بل كانت أدلة بيد الحاكم استخدمها لاستهلاك الأغلبية المسلمة ولتبرير سوء أعماله، ووسيلة لهم إلى ذلك ليَ أعنّق الآيات لخدمة السفاح وتلتمس له الأعذار وتزيّن له الباطل، وظهوره بمظاهر المصلح الأمين وهو الطاغوت الزنديم. وكبير هؤلاء كان علامة الشام البوطي الذي علم السحرة فنون السحر. وإن تبعاً عميقاً لتصريحاته منذ قيام الحراك الثوري في الشام يجعلنا نوقن بما لا يدع مجالاً للشك أنه منافقٌ عند الله كذابٌ، فمرة يتّهم المتظاهرين بأنّ جيّاهم لا تعرف السجود، ومرة يصفهم بالحالة المأجورين والملاحدة الحاذقين على كتاب الله الذين يتمرون عليه كل جمعة، ومرة يدعي أن أصابع صهيونية تحركهم بتخطيط من الخارج، ومرة يتحدّث عن سلسلة إصلاحات سيده لتخدير الثورة وشلّ يد الثائرين، ومرة يتّهم غليون بأنه ملحد كافر، ومرة يتمنّى أن يكون

إصبعاً في يد حسن نصر الله، ومرة يفتقي الناس أن تسرج فوق صورة بشار لله - تعالى - وتعتبرها سجادة، ومرة يردد على معتقل يستفيه بمن عذبه في السجن ليشهد أن لا إله إلا بشار، فيرد عليه: "لا تسألي عن النتيجة وسائل عن السبب، فلو لم تخرج على النظام الحاكم لما سجنت أصلاً"، وآخر إبداعاته أنه وجد روسيا والصين أفضل عند الله من علماء المسلمين.

فكيف لا يمعن الأسد بالقتل وسفك الدماء وقد وجد من يبرر له جريمته ويزين له قبح عمله؟

الأولى اليوم أن نطلب رأس البوطي قبل رأس الأسد، لأنّه يرى فساد الحاكم ولا يدعو للخروج عليه، ويعرف بطلان ولایته أصلًا، ويفصفها بأنّها "بيعة خالية من الشوائب". وقد اتضحتاليوموضوحاً خالياً من الشوائب أنّ البوطي ما هو إلا أحد المتاجرين بالدين، علماء السلاطين، الذين جعلوا إلههم هواهم، وصدق من قال: "إنّ شرّ العلماء أقربهم إلى الأمراء".

طوبى للفتنة.. فهي التي تعرفنا صديقنا من عدونا، وتميز الخبيث من الطيب، وفي أشدّ أوقات الفتنة تشتد الحاجة إلى معين صاف نرده وتنهل منه النور الإيماني والرؤبة الصالحة والقدوة الحسنة، وأهل الشاماليوم بأمس الحاجة لصوت أئمتهم الذين صدقوا الله ما عاهدوه عليه، والذين لا يخشون في الله لومة لائم، والذين يجاهدون بكلمة حق عند سلطان جائر.

فأين هم علماء الشام وأئمتها وماذا ننتظر منهم في هذه المحنّة؟

المصادر: